

آثار البعير

في العصور العربية





بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي

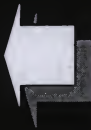
يطلق على أقدم أزمان ما قبل التاريخ مصطلح "العصور الحجرية" وهي : الأزمان التي تؤلف القسم الأعظم من حياة الإنسان . أما إطلاق تسمية "الحجرية" على تلك الأزمان، فيعود إلى الجانب التكنولوجي منها ؛ لأن الإنسان اقتصر خلالها على صنع أدواته وآلاته الساذجة من الحجارة، واستعمل كذلك العظام والخشب ؛ أي أن الإنسان لم يكن يعرف المعادن والتعدين بعد^(١) . ويقسم المؤرخون العصور الحجرية إلى أربعة أقسام رئيسية هي :

١ - العصر الحجري القديم^(٢) : ويمتد من سنة ٦٠٠,٠٠٠ ق.م إلى سنة ٨٠,٠٠٠ ق.م

٢ - العصر الحجري الأوسط^(٣) : ويمتد من سنة ٨٠,٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٠,٠٠٠ ق.م

٣ - العصر الحجري الحديث^(٤) : ويمتد من سنة ١٠,٠٠٠ ق.م إلى ٥٥٠٠ ق.م .

٤ - العصر الحجري المعدني^(٥) : ويمتد من سنة ٥٥٠٠ ق.م إلى سنة ٢٧٠٠ ق.م .



لقد عثر الأثريون على أدوات وآلات حجرية بحرينية تعود إلى تلك العصور الموعلة في القدم، يمكن تصنيفها على النحو التالي :

١ - الآلات الحجرية

اعتمدت صناعة الآلات والأدوات في معظم عصور ما قبل التاريخ على الحجارة بالدرجة الأولى ؛ لأن الحجارة كانت المادة الرئيسية التي صنع منها الإنسان أكثر ما يحتاجه من الأدوات المنزلية، ومن أسلحة الصيد والقتال . فضلاً عن الحجارة، استعمل الإنسان القديم الخشب والعظام والقرون والعاج والأصداف أيضاً، ولكن معظم الآلات والأدوات التي صنعها من هذه المواد العضوية، بليت في المواقع الأثرية ؛ بسبب الأملاح والرطوبة، والقليل الذي وصلنا منها، أصابه التلف في أغلب الأحوال .

لقد اعتاد الأثريون على تصنيف الآلات الحجرية حسب طريقة أو طراز صناعتها ؛ كما اعتادوا تسميتها باسم المواقع التي اكتشفت فيها أول مرة . أما الصخور التي استفاد منها الإنسان في صنع الآلات، فهي الصخور التي تتوفر فيها الصلابة والقوة وسهولة التشظية، مثل حجر الصوان، والزجاج البركاني، وحجر الرمل والصخور البركانية . وهناك طريقتان لصنع الآلات الحجرية هما : طريقة صناعة آلات النواة، وطريقة صناعة آلات الشظايا، وقد تفرعت من هاتين الطريقتين العامتين طرق متعددة، ظهرت في الصناعة الواحدة، وتحت تأثير التطور الزمني والخصائص الإقليمية^(١)، أهمها :

(أ) آلات النواة :

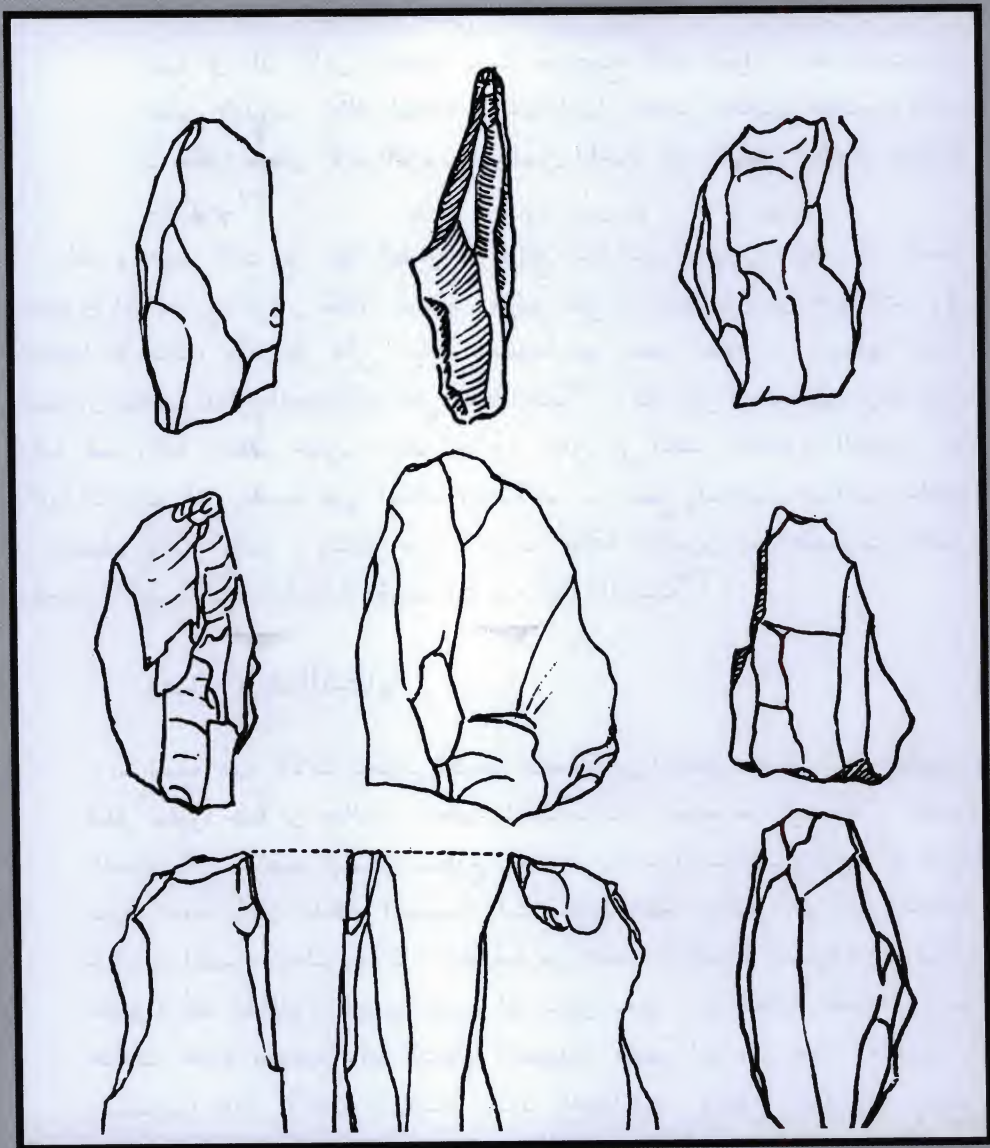
هي آلات حادة في جانب واحد أو جانبيين، تصنع من لب الحجارة، أو من نواتها بعد كسر قشرتها الخارجية، وتحويل النواة إلى آلة لها شكل القلب أو اللوزة، وتبدو هذه الآلة ذات نهاية مدببة وحافات حادة، تدور أحياناً حول محيط الآلة . هذه الآلة هي الفأس اليدوية التي استخدمت في جميع الأغراض، كالقطع والحفر والتقشيط والتشليم والفرم، وصنعت نماذجها

الأولى بشكل القلب من الحصى والصخور البركانية . وبالرغم من أن الإنسان صنع في ذلك الزمن الشظايا المهمة من صنع آلات النواة ؛ فقد بقيت هذه الفأس اليدوية، الآلة الشائعة في عدة إنسان العصر الحجري القديم وكانت تستعمل لسحق الأشياء، وسلخ وفصل اللحوم عن العظام، والحفر والقشط والتثقيب^(٧) .

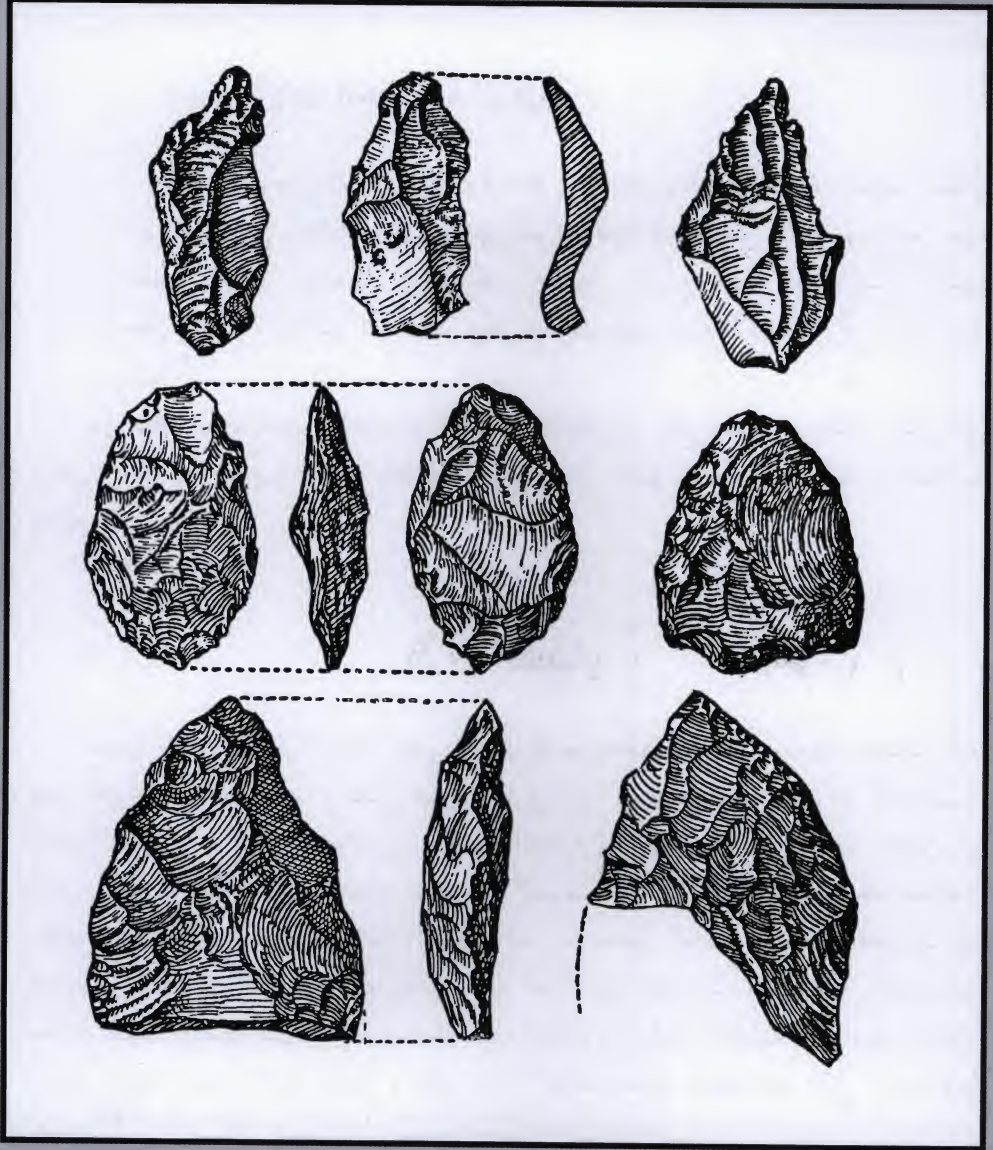
لقد وجدت آلات من هذا الطراز في مواقع عدة من البحرين، تعود إلى العصر الحجري القديم، ويذكر أن سكان البحرين عاشوا على ما يصطادون من حيوانات، وفي مقدمتها الأسماك، وقد عثر على أدوات مصنوعة من حجر الصوان، استعملها أولئك الصيادون لتقطيع لحوم الحيوانات التي يصطادونها^(٨) . كما عثر في البحرين أيضاً على مواقع عند زلاقة ومناطق جنوب وسط الجزيرة، تعود إلى العصر الحجري القديم . أما غالبية الأدوات التي وجدت فهي أسلحة وقاشطات، من صنع واستعمال صيادين، عاشوا في منتصف ذلك العصر . وتظهر هذه الأدوات علاقة البحرين مع حضارات العصر الحجري الأول للمنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية^(٩) .

(ب) آلات الشظايا :

تصنع هذه الآلات بتحويل الشظية المنفصلة من الصخور، بالضرب أو بتكسير قطع صغيرة جداً من حافات الشظية بآلات مدببة، لتصبح حادة مسننة . وتتميز الشظايا التي صنعها الإنسان بسطوح ناعمة ؛ بسبب الاستعمال وتسوية ما تعرج منها، بينما تكون الشظايا الطبيعية ذات سطوح خشنة وتظهر على هذه الشظايا علامات الكسر، وتخلو الشظايا الطبيعية من ذلك . والشظايا المصنوعة لها شكل خاص، أما الشظايا الطبيعية فليس لها شكل معين . والشظايا المصنوعة ذات حافات حادة ومهذبة، أما الشظايا الطبيعية، فليس لها مثل هذه الحافات . واستعملت هذه الآلات المشظاة لصيد الحيوانات، وفصل لحومها، وسلخ جلودها^(١٠) . وفي موقع "المرخ" بالبحرين^(١١) عثر على أدوات مصنوعة من شظايا سميكة، جربت عملية تشظيتها بواسطة الطرق بالمطارق . وأما لون الصوان فأرجواني غامق^(١٢) .



أيادي فنوس من موقع جنوب هضبة آري من الصوان البني تعود لحضارة العصر الحجري القديم الأوسط



أدوات حفر من موقع بسطح هضبة صخرية جنوب دخان تعود للعصر الحجري القديم الأوسط

(ج) الآلات الحجرية الدقيقة :

هي في الأصل شظايا، ولكنها صغيرة الحجم ودقيقة الصنع، منظمة الشكل كالهلال والمعين والمثلث . لقد كانت تلك الشظايا تثبت بمفردها أو بمجاميع منها بواسطة القيـر، وتشكل في مقابض خشبية، تصنع منها آلة خاصة كالسهم المسنن والرمح، ومنجل الحصاد، ويتراوح زمن ظهور هذه الآلات إلى ١٥,٠٠٠ سنة مضت^(١٣) .

وفي موقع يعود للعصر الحجري الحديث بالبحرين، يقع جنوب "دخان" عثر على مائتي رأس من رؤوس السهام المسننة المصنوعة من الصوان مع الكثير من الكاشطات والفؤوس^(١٤) .

٢ - الفخار

عندما نقول "الفخار"، فإننا نعني به كل جسم يصنع من الطين، سواء أضيفت إليه مواد أخرى أم لم تضاف . فكل شكل فخاري يمر بمرحلة التشكيل، ثم التجفيف، وأخيراً التقوية أو التصلب بالحرارة، وهذه العملية الأخيرة هي التي تحول الطين إلى فخار . أما الأشكال التي تجفف بالتعريض للشمس، فإنها تتصلب إلى درجة معينة، ولكنها تتحلل إلى مادتها الأصلية "الطين" عند ملامستها للماء . وفي حال تعرضها إلى حرارة درجتها ١٣٠٠ مئوية أو أكثر، فإن عدداً من التغيرات الكيميائية والفيزيائية تحدث فيها، ويصبح من المستحيل إعادة هذا الشكل إلى مادته الأصلية^(١٥) . ويعد الفخار صناعة عريقة ذات تقنية دقيقة وعالية ؛ لما أضافته عليه الحضارات التي مرت عبر العصور^(١٦) .

لقد صنع الإنسان الأواني الفخارية أول الأمر باليد مباشرة من غير آلة تساعد على سرعة الإنتاج وجودته، لكنه لم يلبث أن توصل في العصر الحجري المعدني إلى استعمال دولا ب الفخار والكؤوس الفخارية .

ودولاب الفخار - الذي عثر عليه في البحرين، كما سنرى لاحقاً - عبارة عن قاعدة خشبية مستديرة، تتصل بعجلة دوارة . وبعد أن يوضع الطين على القاعدة الخشبية، يدير صانع الفخار العجلة فتدير معها القاعدة، وكتلة الطين التي عليها، وعندئذ يبدأ الصانع بتحريك كتلة الطين بأصابع يديه، على غرار ما يفعله اليوم صانعو الخزف أو "الفخار" . لقد أدى استخدام دولاب الفخار أو "العجلة" إلى تقدم وسائل المواصلات، مثل العربات المزودة بالعجلات التي تجرها الحيوانات، والتي ظهرت أول الأمر في بلاد الرافدين، وانتقلت إلى الخليج العربي، كما أدى ذلك إلى تقدم وسائل النقل المائية، مثل السفن الشراعية^(١٧) .

إن الفخار يحظى بأهمية خاصة من قبل علماء الآثار لأسباب عدة، أهمها :
[أ] أن الفخار من العلامات المميزة للعصر الحجري الحديث ، وظهور القرى الزراعية الأولى .

[ب] يعد الفخار من أهم الوسائل التي يستخدمها الأثريون، للتمييز بين أدوار العصر الحجري الحديث نفسه ؛ نظراً لاتصاف كل دور منها بنوع خاص من الفخار يختلف عن سواه من حيث الجودة والشكل واللون والزخرفة^(١٨) .

وفي موقع "المرخ" بالبحرين، عثر على فخار ملون وغير ملون مصنوع على الدولاب الفخاري الذي أشرنا إليه، يعود تاريخه إلى العصر الحجري المعدني (٥٠٠٠ ق.م - ٣٥٠٠ ق.م) . كما عثر في الموقع نفسه على صناعات فخارية أخرى، على رأسها الأقراص الفخارية المثقوبة^(١٩) . وعثر في البحرين أيضاً على آلات صخرية تشابه الآلات الصخرية التي وصلتنا من حضارة العبيد^(٢٠) ولها علاقة بفخار هذا العصر، الذي يتميز بأنه جيد الحرق، بلون أصفر/برتقالي، رملي، وأصفر/برتقالي مائل إلى الخضرة^(٢١) .

الخلاصة :

نستخلص مما تقدم في إطار بحثنا عن آثار البحرين في العصور الحجرية جملة حقائق أساسية :

- ١ - عثر الأثريون على أدوات وآلات حجرية تعود إلى العصور الحجرية : القديم والوسيط والحديث والمعدني .
 - ٢ - عثر الأثريون في "زلاقة" و "المرخ" على أدوات حجرية كالفئوس والقاشطات ، تشبه التي كانت مستعملة في شبه القارة الهندية ، مما يدل على وجود صلات تجارية بين البحرين وتلك الأقطار .
 - ٣ - عثر في موقع "المرخ" على "دولاب الفخار" ، مما يدل على أن سكان البحرين القدماء استخدموه في صناعة الأواني والأطباق والكؤوس الفخارية .
- ويبقى باب البحث مفتوحا عن تاريخ البحرين في العصور الحجرية .
- عبد الجبار محمود السامرائي
باحث في التاريخ

المصادر والمراجع والشروح

١ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٦٦ .

٢ - العصر الحجري القديم : يعد أطول العصور الحجرية زمناً، عاش الإنسان في ذلك العصر على شكل أسر داخل المستوطنة الواحدة، وكان أعضاء المستوطنة يتعاونون على صيد الحيوانات الوحشية، وجمع الثمار والحبوب لتوفير الغذاء اللازم، حيث كان الإنسان يعيش على جمع القوت، ولم يعرف الزراعة بعد، لذلك عرف ذلك العصر أيضاً بـ "عصر جمع القوت" وكان الإنسان يصنع أدواته من الحجارة، مثل الفؤوس والسكاكين والمقاشط، لفصل لحم الحيوان عن جلده وما إلى ذلك من آلات مصنوعة من عظام الحيوان وقرونيه مثل الحراب المسننة وغيرها، كما عرف الإنسان استعمال النار ثم توليدها والإفادة منها في ذلك العصر .

٣ - العصر الحجري الأوسط : يعد عصر انتقال من الصيد والالتقاط "جمع القوت" إلى الرعي والزراعة "إنتاج القوت"، واستمر الإنسان من خلاله يصنع أدواته من الحجر، ولكن بدقة أكبر ؛ إذ صنع أدوات لحصد الحبوب البرية، مثل المناجل، كما صنع المدقات والهواوين ورحى الطحن الحجرية . وبقي الإنسان يعتمد في عيشه على الصيد وجمع الحبوب البرية، لكنه بدأ يتعلم مبادئ الرعي وتدجين بعض الحيوانات، ولاسيما الكلب الذي استخدمه للحراسة .

٤ - العصر الحجري الحديث : ويسمى أيضاً "عصر اكتشاف الزراعة" كما عرف بـ "عصر إنتاج القوت" أو "عصر الثورة الزراعية" ؛ إذ ظهرت خلاله أولى القرى الزراعية، حيث المناخ الملائم والأمطار الغزيرة . وقد اضطر الإنسان إلى الاستقرار لانتظار نمو الزرع، وحصد المحصول، وبالتالي ترك حياة التنقل . وكان استقراره عاملاً في تبلور بعض المعتقدات الدينية عن القوى الخفية في مظاهر الطبيعة،

ولاسيما تلك التي لها علاقة بالخشب والتكاثر . ولأن إنسان ذلك العصر لم يعرف المعادن بعد، فإنه صنع أدواته المنزلية من الحجارة والطين، وصنع المناجل من شظايا حجر الصوان .

٥ - العصر الحجري المعدني : يشمل الأعصر الحضارية الأخيرة من فترة العصر الحجري، حيث تقدمت الصناعات المختلفة فأخذ الإنسان يؤسس بداية الحضارة الناضجة وكانت حضارة ذلك العصر تعتمد على استخدام ثلاثة اكتشافات أساسية وهي : اكتشاف المعادن، كالنحاس والقصدير والذهب والفضة والرصاص، ثم اكتشاف المحور الدوار أو اللولب، وأخيراً تم اختراع مبادئ الكتابة، وصنع الفؤوس الحجرية المدببة لحرث التربة، واستخدم المدق لسحق الحبوب، وعرف الإنسان كيف يخبز الخبز في تنور من الطين، كما صنع من الطين أفراساً دائرية للمغازل، وخزن الحبوب في جرار كبيرة كروية الشكل .

٦ - د. تقي الدباغ، الآلات الحجرية، حضارة العراق، هيئة كتابة التاريخ، بغداد، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٠٠-١٠١ .

٧ - المرجع نفسه .

٨ - د. سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي، منشورات جامعة البصرة، ١٩٨٥م، ص ٥٧ .

٩ - المرجع نفسه، ص ٦٣ .

١٠ - د. تقي الدباغ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠١-١٠٢ .

١١ - المرخ : موقع يقع على هضبة منخفضة إلى الغرب، تشرف على منخفض واحة شمالي قرية "بير زكريت" .

١٢ - د. تقي الدباغ، مرجع سبق ذكره .

١٣ - المرجع نفسه، ص ١٠٣ .

١٤ - د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص ٧٣-٧٤ .

١٥ - دورا م. بيلينكتون، فن الفخار صناعةً وعلماً، ترجمة عدنان خالد وأحمد شوكت، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٧ .

١٦ - المرجع نفسه، من مقدمة المترجمين، ص ٥ .

- ١٧ - د. فاضل عبد الواحد علي وآخرون، التاريخ القديم للوطن العربي، العراق، وزارة التربية، مطبعة الصفدي، عمان - الأردن، ط ٩، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٩-٢٠ .
- ١٨ - نخبة من المؤلفين، تاريخ العراق قديمه وحديثه، طبع شركة الوفاق، بغداد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٧ .
- ١٩ - د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص ٧٦ .
- ٢٠ - عصر العبيد : نسبة إلى تل العبيد الذي يقع على بعد ثمانية كيلومترات إلى الغرب من "أور" في جنوب العراق، حيث عثر على فخاره المميز هناك لأول مرة، وفيه بدأت أول قرية زراعية بحدود نهاية الألف الخامس قبل الميلاد . بدأ عصر العبيد في حدود سنة ٤٣٠٠ ق.م وانتهى في حدود سنة ٣٥٠٠ ق.م .
- ٢١ - د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص ٧٦ .

15 - BOA, *Babllili Evrak Odasl* (BEO), 192674.

16 - BOA, *BEO* 300662.

17 - BOA, *Meclis-i Viikela* (MV) 71, p.30; 74, p.33.

18 - Prime Ministry Ottoman Archive, Istanbul; BEO 300622.

FOOT NOTES

- 1 - Bagbakanhk Osmanh Argivi (BOA), *Muhimme Defieri* (MD), No. 3 Decree 364.
- 2 - BOA, *Ylldlz Sadaret Hususi* (Y.A.Hus.) 297/4 Entitled "British Interests in the Arabian Gulf" paper submitted by Archibald Dunn member of the International Congress of Orientalists, sent to Istanbul on April 5, 1907. We reverted to this text kept at the archives under said number.
- 3 - BOA, *Ham Hiimayun* 20525 A.
- 4 - BOA, *jrade Meclis-i Mahsus* 2067.
- 5 - BOA, *Y A.Hus.* 297/4.
- 6 - BOA, *Sadaret Mektubi Kalemi* (A.MKT.) 127/65.
- 7 - In a document bearing the date of August, 25, 1860 we read : "the Bahrain island facing the Kateef landstation was the responsibility of the Qaim-makam of Nejd." BOA, *A.MKT.UM.* 426/68.
- 8 - *Ibid.*
- 9 - BOA . *AMKT.UM.* 426/63.
- 10 - *Ibid.*
- 11 - BOA, *irade Dahiliye* 33349; 1MM 1667.
- 12 - BOA, *irade Meclis-i Mahsus* 1611.
- 13 - BOA, *Ayniyat Defieri* 851, p.74.
- 14 - BOA, *irade Meclis-i Mahsus*, 1667, Lef 6.